موسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[القصص: ٧ - ٩]

صدق الله العظيم

قصة سيدنا موسى عليه السلام قصة حافلة.. مليئة بالأحداث.. ورسالته من الرسالات الكبرى، وقصته مع بنى إسرائيل قصة طويلة.. وأمه هى يوكابد.. وأبوه.. عمران.. وكلاهما من نسل اليهود الذين جاءوا مع يعقوب عندما كان يوسف عليه السلام الوزير الأول فى مصر.. وعاشوا فى محافظة الشرقية.. وقد قال الكهنة لفرعون مصر إنه سيولد من الإسرائليين من يكون خطراً عليه، فأمر أن يقتل كل طفل يولد منهم.. وحملت يوكابد بموسى وخافت عليه أن يذهب ضحية أحقاد فرعون.. وتملكها الخوف عند ولادته خشية أن يشى بها أحد.. وأوحى الله لها أن تلقيه فى اليم بعد أن تصنع له تابوتاً.

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ... ﴾ [طه: ٣٩].

استجابت الأم لوحى الله، وصنع له والده التابوت، وأنزلته أمه فى اليم بعد أن أرضعته وطلبت من أخته مريم أن تسير بجوار الشاطىء لترى أخاها عن بعد.. كان ذلك زمن الفيضان، وسرعان ما جرفه التيار.. وسار التابوت وسط مياه النيل إلى أن ألقاه الموج إلى الشاطىء بالقرب من قصر فرعون.. وبينما كانت زوجة فرعون

«رمسيس الثانى» تطل من شرفة القصر رأت هذا الطفل فأمرت الحراس أن يحضروه.. وجاء فرعون ليرى زوجته تحتضن الطفل بحنان، فقد أفرغ الله فى قلبها الرحمة على موسى.. وموسى هو الاسم الذى أطلق عليه بالعبرية ومعناه «المنتشل من النهر» وكاد فرعون أن يفتك به، ولكن الزوجة حمته من غضب فرعون على أساس أن يكون ابناً وقرة عين لهما.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾[القصص: ٩].

وأمرت زوجة فرعون أن يأتوا لها بالمراضع ليرضعن الطفل، ولكنه أبى أن يرضع من أية واحدة منهن.. وعلمت الأخت بأن أخاها امتنع عن الرضاعة فذهبت أخته التى كانت ترقبه من بعد إليهم وأخبرتهم بأنها تعرف مرضعة.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [القصص: ١٢].

ووافقوا واسرعت إلى أمها تقص عليها الخبر، وفرحت الأم.. ما أعظم قدرة الله..

إن موسى يعيش فى قصر الملك الذى كان من المفروض أن يقتله، وها هو الله جلت قدرته لا يحرم الأم أن تصبغ حنانها على وليدها.. فإذا بالعناية الآلهية تأبى أن يرضع الطفل من امرأة غير أمه لقد أسرعت وفى قلبها لهفة الأم وحنانها على ابن طال شوقها إليه.

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[القصص: ١٣].

وشب موسى فى قصر الملك.. وتعلم على يد الكهنة.. وعرف من أمه الحقيقة، وفهم منها أنه من نسل إبراهيم عليه السلام.. وأن ديانة العبرانيين تختلف عن ديانة المصريين.. ومن هنا عزف موسى عليه السلام عن الديانة المصرية القديمة..

وكان موسى متعاطفاً مع العبرانيين، فقد علم من أمه أنه واحد منهم.. وعندما شب حدثت له هذه الحادثة الشهيرة إذ رأى أحد العبرانيين يتشاجر مع أحد المصريين واستغاث هذا العبرانى بموسى الذى وكز المصرى فقتله.. وشعر موسى بالندم على ما فعل، وفى اليوم التالى رأى نفس العبرانى يتشاجر مع مصرى آخر. واستغاث به للمرة الثانية، وهم موسى أن ينصره ولكن الرجل العبرانى تخيل أن موسى سوف يقتله هو فصرخ فى وجهه:

﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [القصص:١٩].

ومن هنا شاع فى الناس أن الذى قتل المصرى بالأمس هو موسى.. وأجمع المصريون على قتله، وجاء رجل يحذر موسى وينصحه بترك مصر لأنه سوف يقتل، وقرر الهرب من مصر كلها خوفاً من انتقام المصريين، ومن انتقام فرعون فى نفس الوقت.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢١].

وسار موسى فى سيناء وتوجه إلى وادى مدين، حيث رأى الناس يتزاحمون حول أحد الآبار. ووجد فتاتين تنتظران حتى يرد الرعاة، فتقدم موسى وساعدهن، وكانتا ابنتى نبى الله شعيب. وذهبتا تقصان على والدهما قصة هذا الرجل القوى الأمين الذى ساعدهما وأمر شعيب إحدى بناته أن تدعو هذا الرجل إلى منزله بينما جلس موسى فى الظل وهو لا يدرى ماذا يفعل، وإذا به يجد إحدى الفتاتين اللتين سقى لهما أمامه تدعوه إلى مقابلة والدها.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

وجاء موسى إلى شعيب وقص عليه قصته، واقترحت إحدى بناته أن يستأجر والدها موسى، وراقت الفكرة للأب الصالح، بل عرض عليه أن يزوجه إحدى بناته. فقال لموسى:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: ٢٧].

وسعد موسى عليه السلام بهذا العرض الذى عرضه الشيخ الجليل وقال:

﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٨].

لقد قضى موسى قرابة العشرين عاماً فى وادى مدين وتزوج من «صفورة بنت شعيب» وهى الابنة الصغرى وعاش حياته سعيدا وقد أنجب منها ولدين «حبرشوم» و«أليعازر».. وبعد هذه المدة قرر موسى أن يعود إلى مصر.

كان قد بلغ الأربعين من عمره.. ووافق شعيب على ذلك وأخذ موسى زوجته وأولاده وبعض الأغنام والمواشى، وظل سائراً فى الصحراء فى طريقه إلى أرض مصر.. حتى وصل إلى طور سيناء.. كانت الليلة مظلمة.. وكانت الريح شديدة والجو فى غاية البرودة.. وحاول أن يستوقد النار، ولكنه لم يستطع وسط عواء الرياح، وبرودة الجو القارس.. ورأى على البعد ناراً.. وطلب من زوجته أن تنتظره حتى يأتى ببعض النار.. وقد ظن أن هذه النار لابد أن يكون بجوارها بعض الناس، وسوف يأنس بهم.. وسوف يساعدونه فى تلك الليلة الشديدة البرودة.. وذهب موسى وسط الظلام.. ولكنه سمع صوتاً يناديه:

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٣٠].

وتهيب موسى، وشعر بالخوف والرهبة.. ولكنه سمع نداء الله:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[طه: ١٧].

لقد أنزل الله السكينة فى قلب موسى فقال:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ١٨ ـ ٢٣].

ثم استمع إلى قوله تعالى:

﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٢].

ولكن موسى تذكر على الفور أنه قتل واحدا من المصريين، وأنه يخشى أن يفتك القوم به، وطلب أن يعاونه أخوه هارون فى مهمته.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٣، ٣٤].

واستجاب الله لهذه الرغبة:

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٥].

ورجع موسى إلى زوجته، وقد ظهر النور على وجهه،

وقص عليها قصته وكيف كلم الله. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]. وفرحت الزوجة المخلصة بأن زوجها أصبح نبياً.. فها هو زوجها نبى، وهى ابنة نبى.

رجع موسى إلى مصر لإنقاذ بنى إسرائيل من طغيان رمسيس الثانى بأمر من الله.. بأن يخرجهم من مصر؛ وينقذهم مما هم فيه من هوان.. وكان معه من ربه برهانين، ليقنع الناس بصدق رسالته وهو أن يلقى عصاه فتتحول إلى حية تسعى، وأن يضع يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء.

وذهب موسى ومعه أخوه هارون إلى فرعون.. يدعوه إلى الله وأن يترك بنى إسرائيل يخرجون من مصر، ولكن فرعون كذب دعوة موسى ورفض طلبه، ولم ير فى المعجزات التى قدمها موسى سوى أنها شكل من أشكال السحر، وأنه سوف يبطل هذه الدعوى.. وسوف يدعو السحرة ليكشفوا سحر موسى!!

ولكن زوجة فرعون استمعت إلى موسى وآمنت بصدق رسالته، وفرحت فرحاً عظيما بعودته إلى مصر.. فهى التى ربته وحمته من القتل.. وتوجهت إلى الله بهذا الدعاء.

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾[التحريم: ١١]. ويقص القرآن العظيم قصة موسى عليه السلام منذ مولده إلى يوم أن أرسله الله

لتبليغ الرسالة بهذا البيان المعجز رغم إيجازه الشديد. .فنرى أنفسنا أمام هذا البيان الساحر.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ [طه: ٣٧ - ٤٢].

لقد أمر فرعون أن يحضروا له السحرة، وجاءوا. .لقد ألقوا بعصيهم وحبالهم فإذا هى تتحول إلى أفاعى، وخاف موسى، وأوحى الله إليه أن يلقى عصاه فألقاها فإذا هى حية تسعى وتلقف ما صنع السحرة. .ولم يجد السحرة أمام هذه المعجزة إلا الإيمان برسالة موسى.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠ ـ ١٢٦].

وأوحى الله إلى موسى أن يفر وأتباعه من مصر، وخرجوا متجهين صوب فلسطين. . واقتربوا من البحر الأحمر، وشعر فرعون بأن بنى إسرائيل فى طريقهم إلى الخروج من مصر فتبعهم وبعض جنوده، ولحق بهم قرب شاطىء البحر الأحمر. . وأوحى الله إلى نبيه أن يضرب بعصاه البحر. . وما كاد موسى يفعل ذلك حتى انفلق البحر ووجدوا ممراً بين مياهه، وسار موسى وبلا وعى تقدم فرعون وراءه، وكان أمر الله للقضاء على فرعون.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

لقد جرفهم تيار البحر فغرقوا، ونجا موسى وقومه.

وسار موسى وقومه يضربون فى صحراء سيناء بعد أن نجاهم الله. . وأنعم الله عليهم فإذا بالغمام يظلهم فى النهار، وينزل الله عليهم المن والسلوى، وإذا بموسى يضرب بعصاه الصخر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا من الماء. .

وكان على بنى إسرائيل أن يشكروا الله وهم يرون هذه النعم وتلك المعجزات التى رأوها رأى العين، ولكن ما أقسى قلوبهم. . لقد

تركهم موسى عليه السلام ليذهب إلى جانب الطور الأيمن حيث الشجرة المباركة ليتلقى كلمات الله.. واستخلف عليهم أخاه هارون، ولكن ما كاد موسى يذهب إلى لقاء الله، حتى أضلهم «السامرى» فجمع الذهب من النساء ليصنع منه تمثالا لعجل له خوار.. فقد وضع آلة فى هذا التمثال ما يكاد يمر بها الهواء حتى ينطلق صوتا كخوار العجل.. وضل اليهود.. لقد عبدوا هذا العجل.. رغم تحذير هارون ورغم أن صفورة زوجة موسى وقفت تعارض نسوة بنى إسرائيل وتمنعهن من تسليم حليهن لهذا النصاب الذى اسمه السامرى.. لكنهم عبدوا العجل !

وعاد موسى غضبان أسفا.. لقد علم من الله سبحانه وتعالى وهو يملى عليه التوراة أنهم ضلوا الطريق، وعادوا يعبدون الصنم من دون الله.

ووقف موسى أمام قومه والغضب يملأ جوانحه وقال:

﴿ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ [طه: ٨٦].

وردوا عليه:

﴿ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾[طه: ٨٧، ٨٨].

وتوجه موسى إلى أخيه يلومه على أنه خرج للقاء الله أربعين يوما. . وعاد ليجد قومه فى هذا الضلال.

أين كان هارون؟

لماذا لم يثنهم عن هذا الضلال؟

لقد توجه إلى أخيه معاتبا:

﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢ ، ٩٣].

ورأى هارون الغضب فى وجه أخيه، فأخذ يشرح له وجهة نظره:

﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بلحْيَتِي وَلا برَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

وأخذ يبرر الوضع بقوله:

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ولم يجد موسى إلا أن يتجه إلى الله طالباً عونه فى هذه المحنة التى يتعرض لها:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

وتوجه موسى إلى التمثال وحطمه، لقد أحرقه وألقى به فى البحر، وطلب أن يأتى معه سبعون رجلا لملاقاة الله، ولكن كطبيعة

بنى إسرائيل دائماً. . أخذت الشكوك تملأ قلوبهم فطلبوا أن يروا الله جهرة وأنزل الله عليهم صاعقة كادت تودى بحياتهم لولا دعاء موسى الخاشع لله.

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

لقد كانت رسالة موسى عليه السلام هى رسالة التوحيد. . أن يعرف الناس الله وأن يعبدوه حتى تلين قلوبهم بذكر الله، وأمر موسى قومه أن يؤمنوا باليوم الآخر. . وكانت الوصايا العشر من قبل الله لموسى حتى يعرف قومه الإيمان الصحيح.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥].

ولكن ما هى نصوص الوصايا العشر. . ؟

إنها كما أوردتها التوراة:

* «سبحنى وقدسنى أنا الرب إلهك، فاعبدنى ولا تشرك بى شيئاً، واشكر لى ولوالديك إلى المصير. أحييك حياة طيبة».

* «ولا تقتل النفس التى حرم الله، فأضيق عليك السماء بأقطارها والأرض برحبها».

* «ولا تحلف باسمى كذباً، فإنى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم اسمى».

* «ولا تشهد بما لا يعنى سمعك ولا تنظر عينيك ولا يقف عليه قلبك، فإنى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسألهم عنها».

* «ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى، فإن الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى».

* «ولا تزن، ولاتسرق، فأحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات والأرض».

* «ولا تذبح لغيرى فإنه لا يصعد إلى من قربان الأرض إلا ما ذكر عليه اسمى».

* «وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك»

* «لا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره».

* «اذكر يوم السبت ـ أى يوم الراحة ـ لتقدسه، ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك، أما اليوم السابع فللرب إلهك كى تستريح».

ولكن هذه الوصايا العظيمة لم تجد أذنا صاغية من اليهود على مر العصور. .ظلوا متقوقعين فى عزلة رهيبة. .يخدعون أنفسهم ويحاولون خداع العالم بأنهم شعب الله المختار. .وأن هذه الديانة وقف عليهم وغيروا فيها وبدلوا.

لقد تمردوا على موسى عليه السلام فى حياته. .إنه ما كاد يذهب لتلقى الألواح حتى ضلوا طريقهم، وساروا وراء السامرى !

وفى هذه الظروف القاسية المريرة على نفس موسى عليه السلام، كانت زوجته صفورة بنت شعيب تقف بجانب زوجها تشد من أزره. .وقد أصيبت صفورة بالحمى فى سيناء، ودفنت بها وكانت قد تجاوزت الأربعين من عمرها. .ولا أحد يعرف مكان قبرها على وجه التحديد.

وإذا كانت قصة موسى عليه السلام توحى بكل ما هو عظيم وجليل، وإذا كانت الشريعة التى جاء بها من السماء ترسم طريق الأمن والآمال لبنى إسرائيل. إلا أنهم خانوا الأمانة فى عهد موسى وبدلوا فى التوراة بعده. .وظلوا إلى يومنا هذا يخدعون أنفسهم ويخدعون العالم. .لقد ظنوا أنهم شعب الله المختار. .وأنهم خير الشعوب. .وغيرهم ليسوا فى مستوى البشر. .فعاشوا نكبة على الإنسانية طوال التاريخ. .فما اهتدوا. .ولكنهم ضلوا. .وهم لا يؤمنون باليوم الآخر. .وقد صب الله لعنته عليهم. .فعاشوا فى حوارى العالم وأزقته فى عزلة قاتلة. .لا يخرجون منها إلا للمؤامرات والدسائس والفتن!

* * *